المحاضرة الثالثة

الفتية – أصحاب الكهف

(الرفقة الصالحة – التوحيد)

الصف الثالث / قسم اللغة العربية

م . إلهام عبد الكريم يعقوب

استفتحت السورة المباركة – بعد حمد الله تعالى على انزال الكتاب المستقيم الهادي إلى طريق الحق { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا} ، ولفت النظر إلى حقيقة الحياة وما ستؤول إليه هذه الأرض الخضراء يوم النشر وعند الحشر { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا } بأولى القصص الطوال الأربع ، قصة الفتية الذين فروا من الملك بدينهم حيث الكهف الذي تسمت السورة باسمه .

إن القرآن الكريم لم يكتف بإكرام الكهف – وهو جماد – بأن تسمت السورة باسمه {أصحاب الكهف والرقيم } بل تعداها إلى الحيوان الذي رافقهم { وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد } في أسلوب رائع يلفت نظر المؤمن إلى أن الرفقة الصالحة تعم بركتها الجماد والحيوان ، فكيف بالمتحابين في الله أنفسهم وقد وعدوا بمنابر من نور يوم القيامة ، يغبطهم عليها الأنبياء والصيقون والشهداء .

ويستمر تكريم الجماد والحيوان في هذه السورة ما تلا تال هذه الآيات الكريمات {أصحاب الكهف والرقيم } و{ كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد } إلى قيام الساعة على كل حرف بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمئة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء ، فإذا كان هذا شأن الكلب والحجارة ، فما شأن الفتية أنفسهم عند الله تعالى (هم القوم لا يشقى بهم جليس) ، ويكفيهم فضلا من الله تعالى أن من قرأ الآيات العشر التي استفتحت السورة بها قصتهم ، عُصم من فتنة الدجال .

وتأكيدا من القرآن الكريم على هذه الرفقة الصالحة والصحبة المباركة ، عاب على الناس انشغالهم بعدد الفتية ، وبأسمائهم ، وبمكان الكهف ، وكم لبثوا ... { سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم } كما هو شأن اليهود ، فصرف أنظار المؤمنين إلى جوهر القصة من السورة { إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا } .

وأن العبرة في قصتهم توحيد الله تعالى بالربوبية والألوهية ، { هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا } وهذا هو سر احتراز الفتية بالكهف ، وسر كرامتهم على الله تعالى .

وإذ يدعو القرآن الكريم نفوس الفتية إلى الكهف ليعتصموا به من الملك وزبانيته لئلا يفتنهم في دينهم ، فهو يدعو النفوس المؤمنة كذلك إلى الاعتصام بهذه السورة من فتن الدنيا { فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا} وقد تكفل النبي لمن احترز بسورة الكهف أو ببعض آيها العصمة من فتنة الدجال وغيرها من فتن الدنيا ، زيادة على النور الذي سيخلع عليه ببركتها .

وإن للصحبة المؤمنة في هذه السورة المباركة أمر جلل وشأن عظيم ، إذ جعلها الله تعالى الوسيلة إلى عبادته والدعوة إلى طاعته ، ويتولى لفت النظر مع قصص السورة الأخرى الطويلة إلى هذا السر العجيب ، فصاحب يدعو صاحبه { فقال لصاحبه وهويحاوره } و{ قال له صاحبه وهو يحاوره } ، وآخر يلتمسها في رفقة الصالحين { قال له موسى هل أتبعك } .

كما لفتت السورة إلى أن صاحب الجنتين وجدها ، لكنه لم يفد منها { فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا } ، وإن الآخر موسى عليه السلام وجدها إذ طلبها ، وأفاد منها بالقدر الذي شاء الله أن يفيده بها { ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا } .

فجعل الله النكال كل النكال والحسارة كل الخسارة لمن زهد في هذه الصحبة الصالحة ورغبة عنها ، حاثا نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، عليها {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا } ومحذرا إياه من التفريط بها أو إبدالها بغيرها { ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا } .